موجبات الإستغفار

إعداد / أحد طلبة العلم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وبعد /
فقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرّة)[1] وروى مسلمٌ عن الأغرّ أن رسول الله ﷺ قال (يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرّة)[2] وروى الترمذي بسند جيد عن ابن عمر قال : كان يُعدّ لرسول الله في المجلس الواحد مائة مرّة من قبل أن يقوم : (ربّ اغفر لي وتب علي إنك أنت التوّاب الغفور)[3] .
والنصوص في هذا الباب كثيرة ، فهذا النبيّ أفضل الخلق وسيّد الأنبياء وقد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر وهذا شأنه في الإستغفار وملازمته له وأمره لأمته به وحثهم عليه مما يدلّ على شدّة حاجة العباد إليه ، فالإستغفار من الوظائف اليوميّة التي لا ينبغي أن يغفل المسلم عنها وعليه أن يستكثر منه ما استطاع فهو - بإذن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧)
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٢)
(٣) الترمذي (٤٣٤٣)

الله - من أعظم الأدوية لأدواء القلوب وأمراض الشهوات والشّبهات. وعامّة النّاس ومنهم بعض أهل الخير والدّين يُقصرون سبب الإستغفار على بعض الذنوب دون غيرها لا لاستهانتهم بها ، بل لعدم علمهم أو لغفلتهم عنها وخفائها عليهم ، والمرء إذا لم يعلم الداء على صورته لم يحسن استعمال الدواء ، وربّما قتله أدواؤه وهو لا يشعر ، ولذلك كتبتُ هذه الرّسالة المختصرة في بيان موجباتِ الإستغفار ، ليعلم العبد أنّه مهما بلغ من العبادة والتقوى فهو بأشدّ الحاجة إليه في جميع حالاته.
أسأل الله سبحانه أن تكون خالصة لوجهه الكريم وأن ينفع بها .

الموجِب الأوّل : القصور الأصليّ للبشر

إنّ الخلق لا يمكن بحالٍ أن يحمدوا الله حقّ حمده ولا أن يعبدوه حق عبادته حتى لو وُفّقوا لذلك فهو سبحانه الذي أنعم عليهم بهذا التوفيق ومع أن العبد لو استغرق عمره كلّه في العبادة والطاعة ما قام بحمد الله تعالى فإنه سبحانه رضي منهم بالقليل من العبادات الي لا تكلفهم جهدًا ولا تأخذ منهم وقتًا ، لذا جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (لن يُدخل أحدًا عملُه الجنّة) قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال :

(ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل)[1] ومع غناه - سبحانه - عن عباده وفقرهم وحاجتهم إليه فقد أكرمهم غاية الإكرام كما في مسلمٍ عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (يقول الله عزّ وجل : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ، ومن تقرّب منّي شبرًا تقرّبت منه ذراعًا ومن تقرّب منّي ذراعًا تقرّبت منه باعًا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يُشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة)[2] ومع أن العبادات لا تأخذ من وقت العبد إلا اليسير ومع أن عمره مقارنة بعمر الدنيا قصير جدًا ومع أن الدنيا كلها طرفة عين مقارنة بالآخرة ، مع هذا كلّه فقد أثاب الله سبحانه عباده على هذه الأعمال اليسيرة في العمر القصير ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلب بشر في جنةٍ عرضها السماوات والأرض مع خلود الأبد ، حتّى إن أدنى أهل الجنّة منزلة - وما فيهم دني - من له عشرة أمثال الدنيا كما ثبت في الصحيح عن عدد من الصحابة وليس هذا موضع بسط هذه المسألة بل المراد التنبيه لها

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦)
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٧)

فإذا علم العبد قصور عمله مقابل ما يستحقه الله سبحانه ومقابل ثوابه يوم القيامة علم شدّة حاجته إلى الإستغفار من هذا القصور .

الموجِب الثاني : التقصير في الأعمال

قد أمر الله - سبحانه - عباده بفرائض وعبادات وتكاليف معلومة ولا يوجد أحد يؤدي هذه التكاليف كما أداها النبي ﷺ إما لعدم القدرة أو لقلة العلم أو لكثرة الغفلة أو لغير ذلك من الأسباب ، لذا فلا ينفكّ عمل من التقصير فيه " قلّ هذا التقصير أو كثُر " لذا فقد شُرع الإستغفار بعد العبادات لجبر هذا التقصير كما ثبت في مسلمٍ عن ثوبان أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا ، وكما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا قفل من حج أو عمرة قال : (آيبون تائبون ساجدون لربنا حامدون)[١] وكما ختم النبي ﷺ حياته المليئة بالدّعوة والجهاد والخير بالإستغفار كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يُكثر أن يقول قبل أن يموت : (سبحانك

(١) أخرجه البخاري (١٧٩٧)

اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك)[1] وغير ذلك من النصوص فكثرة الإستغفار والتوبة بعد الأعمال يُجبر بإذن الله ما وقع فيها من نقص .

الموجِب الثالث : الذنوب الوجوديّة الظاهرة

وهي الذنوب المعروفة (المحرمات الظاهرة) كالزنا والسرقة والإعتداء على الآخرين ، ومثل آفات اللسان المنتشرة بين الخلق كالكذب والغيبة والنميمة والفحش بالكلام وغيرها ، وهذه الذنوب هي المشهورة عند الناس حتى إن كثيرًا منهم يقصر الإستغفار عليها - لجهله بغيرها - لذا نجد من كان قلبه حيًا منهم يُكثر الإستغفار بعد مقارفته لشيء منها ويغفل عن الإستغفار في حالاته الأخرى مع حاجته إليه .

الموجِب الرابع : الذنوب العدميّة

وأعني بها (التروك) فإن العبد إذا قارف ذنبًا بلسانه أو بيده - مثلًا - عقَله واستغفر منه إن وفّقه الله تعالى لذلك

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٩٧)

ولكنه يغفل كثيرًا عن الذنوب التي كُتبت عليه ولم تعملها جوارحه بل كان إثمه لتركه لأمورٍ أوجبها الله تعالى عليه ، ويكثر هذا في حقوق الآخرين كحق الوالدين والزوج والأولاد والأقارب والجيران وحق المسلم على المسلم وكما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد يرى العبد منكرات كثيرة في كلّ وقت ولا يغيرها بيده ولا بلسانه مع قدرته على ذلك بل قد يألفها من تكررها عليه حتى لا ينكرها بقلبه ، وكل هذه من الذنوب التي تُكتب عليه وهو غافلٌ عنها .

الموجِب الخامس : الذنوب الباطنة

وهي أمراض القلوب كالكبر والعجب والخيلاء والحسد والغل وغيرها ، وهذه الأمراض قد تعظم حتى تكون أمثال الجبال وقد تتضاءل حتى تكون أمثال الذر ، ولا يكاد يسلم قلبٌ من شيء منها ، وخطورة هذه الذنوب تكمن فيما يلي :-

١- غفلة كثير من الناس - بل من الصالحين - عنها فقد تجد العبد مستقيمًا في ظاهره ملتزمًا بالشرع في هديه متورعًا عن الذنوب الظاهرة ، إلا أنه مبتلىً بشيء من هذه الأمراض في قلبه - ومستقلٌ ومستكثر -

٢- أن هذه الأمراض لازمة دائمًا للقلب مالم يطهّره الله سبحانه منها بخلاف الذنوب الظاهرة فإنها وقتيّة لا دائمة

٣- أنّها مؤثرة على البدن كلّه كما في الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ قال : (... ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلُحت صلُح الجسد كلّه وإذا فسُدت فسد الجسد كلّه ألا وهي القلب)[1] .

٤- أن بعض هذه الأمراض قليلها كثير ويسيرها خطير كالكبر مثلًا فقد جاء في صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال : (لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[2] وهذا يدلّ على أن هذا المقدار - الذرّة - من الكبائر لهذا الوعيد الشديد .

٥- وهو أخطرها : وهو خفاؤها عن صاحبها فمن المعلوم أنّ مقدار (الذرّة) لا يكاد يشعر به المرء ولو كان هذا المقدار وحده فقط فكيف إذا كان مزحومًا بأمور أخرى من المشاعر والأحاسيس المختلفة التي قد تؤدي إلى ستر هذه الأمراض فلا يشعر بها .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩)
(٢) أخرجه مسلم (٩١)

الموجِب السادس : الذنوب الخفيّة

وهي التي تقع وتخفى عليه ، ولا يحصل هذا إلا من تقصير ومرض ومن أمثلتها ما سبق في " الموجب الخامس " من الذنوب الباطنة الخفية (مثقال ذرة) ، ومن أمثلتها مما يظهر على الجوارح :-

١- الشرك الخفي : وهو يسير الرياء الذي يخالط الأعمال الصالحة وقد يقع فيه العبد - كثيرًا - وهو لا يشعر لذلك سُمي بالخفي فإن كان في العمل فهو رياء وإن كان في الكلام فهو سمعة ، ولذا جاء في عدد من الأحاديث التي لا تخلو من مقال في أسانيدها أنّ كفارة ذلك أن تقول : (اللهم إنّي أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم) والشاهد هنا قوله : (لما لا أعلم) وهذا يدلّ على وقوعه فيه بغير علمه .

٢- الشهوة الخفيّة : كما جاء في حديث شدّاد بن أوس موقوفًا عليه وروي مرفوعًا ولا يصح : (يا نعايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الشهوة الخفية) وقد فسّرها أهل العلم بـ " حب الرئاسة " ومن جنسها حب الشهرة والذكر ونحوهما ، وهذان الأمران (الشرك الخفي والشهوة الخفية) يكثران في المنتسبين إلى الخير والعلم كما قال بعض السلف : " آخر ما يخرج من رؤوس الصدّيقين حب

الرئاسة " وخطر هذه الأمراض أنها قد تكون موجودة كنا سبق بيانه بدون علم صاحبها .

٣- وهو أعظم مما سبق وأخفى منه : وهو ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم)[١] فتأمل قوله (ما يتبين منها) وقوله (لا يلقي لها بالًا) يتبين لك خطورة هذا الأمر ثمّ أجب على السؤال التالي : ما يدري أحدنا - أنا وأنت والآخرون - أننا في وقت من أوقات الغفلة أو المزح أو الغضب أو غير ذلك صدرت منّا هذه الكلمة ونحن لا نشعر والتي أوجبت مثل هذا الوعيد ؟ نسأل الله سبحانه أن يعافينا من موجبات غضبه وأن يحفظ جوارحنا عن معاصيه .

الموجِب السابع : الذنوب المجهولة

والمراد ما يقترفه العبد من الذنوب التي لا يدري أنها ذنوب لجهله بها ، وقد تكون هذه الذنوب من المحرّمات وقد تكون تركًا لواجبات وهذا الجهل ينقسم إلى قسمين :

(١) أخرجه البخاري بلفظة (لا يلقي لها بالًا) (٦٤٧٨) ومسلم بلفظة (ما يتبين ما فيها) (٢٩٨٨)

١- إمّا أن يكون بتقصيرٍ منه أو إعراض عن طلب الحق مع تمكنه فهذا آثم .
٢- وإمّا أن يكون وقع من غير تقصير ولا إعراض فلا إثم على صاحبه ولكنّه مع ذلك ناقص الرتبة ممن لم يقترف هذه الذنوب ، وعلا كلا الحالتين فهو محتاجٌ إلى الإستغفار والتوبة ، أما الأول فلإقمه ، وأمّا الثاني فلنقصه .

وأخيرًا : إذا تأمّلت أخي المسلم هذه الموجبات ورجعت إلى نفسك علمت أنك بأشد الحاجة إلى الإستغفار والتوبة في كلّ حين وأن النبي ﷺ ما أمر به أمّته إلا لشفقته عليهم ولحاجتهم إليه ، فعليك بالإستكثار منه والمداومة عليه مع الدعاء بالأدعية النبويّة الجامعة - كاسحات الذنوب كلها - بإذن الله تعالى مثل :

- (اللهم اغفر لي ذنبي كلّه دقه وجلّه وأوله وآخره وعلانيته وسرّه)
- (اللهم اغفر لي خطئي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به منّي ، اللهم اغفر لي جدّي وهزلي وخطئي وعمدي وكلّ ذلك عندي)

- (اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منّي أنت المقدّم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير) وهذا كله في الصحيح.

أسأل الله سبحانه أن يغفر ذنوبنا ويكفّر سيئاتنا وأن يتغمّدنا برحمته وأن يتمّ نعمته علينا وأن يتوفّانا على الإسلام .

وصلّى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين .